



خطبة صلاة الجمعة 1/11/2013 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكى

### (ما بين الهجرة والأزمة)

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيته وخليفه، خير نبي اجتبا، هدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ أَجْرُ

الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ \* الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 41-42].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ

لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يُرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: 58-59].

وقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ

اللَّهُ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

عنوان خطبة اليوم:

### (ما بين الهجرة والأزمة)

أيها الإخوة:

جرت العادة أن يُعدَّ خطيب الجمعة خطبته ويقدمها للإخوة المصلين على المنبر، لكنني اليوم سأخطب بكم خطبةً أعدّها أحد الإخوة الحاضرين، راسلي بها يحسبها مناسبة لتكون مادة الخطبة فوافق الرأي الرّأي، فخطبة اليوم من إعداده وتقديمي، أضفت عليها شيئاً وأنقصت منها شيئاً آخر، أغنيتها بالأمثلة حيناً وبالشواهد حيناً آخر، لكنّها تبقى خطبته، وإنّ من بركة العلم أن يُنسب لصاحبه، كما ذكّر العلماء.

يقول في رسالته:

مع دنوّ ذِكْرَى الهجرة سَرَتْ بخاطري دروسٌ وعبرٌ من زمن الهجرة تنفع في أيّام الأزمة، علّها تكون مفيدةً لنا عنوانها: (مابين الهجرة والأزمة: دروسٌ ووقفات).

**الدّرس الأوّل - الهجرة من مكانٍ لآخر فرضٌ على كلّ مسلمٍ قادرٍ مُنَعِ إقامة شعائر الدّين، أو غلب على ظنّه مهلكه أو النّيل من عرضه.**

فهذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصحابته الكرام يهاجرون من بلدهم الذي فيه وُلدوا، وأرضهم التي عليها نشأوا وترعرعوا، لمّا مُنِعوا من إقامة شعائر دينهم، وهذا شأن كلّ مسلمٍ ينجو أوّل ما ينجو بدينه، ويحفظ أوّل ما يحفظ صلته بربه. ومن هنا وجب على كلّ من فكّر في سفرٍ أو حضرٍ في أيّ بقعةٍ من بقاع الأرض كان، أن يفكّر أوّل ما يفكّر بتأمين دينه وعلاقته بربه.

ربّما سافر شابٌ للدراسة، وربّما سافر آخرٌ للتجارة، وربّما سافر آخرٌ للنّجاة، فعلى كلّ هؤلاء أن يسألوا أنفسهم: في المكان الذي سأسافر له، هل يسلم لي ديني؟ فإن سلّم فحيهلاً وإلا فلا.

فمن أجل العقيدة وشعائر الدّين تهون التّضحية بالنّفس والتّفيس، والمال والدار والجاه.

قال ابن هشام: ((وقد ذكّر لي عن أبي عثمان النّهدي أنّه قال: بلغني أن صهيياً رضي الله عنه حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتينا صُغْلوكاً حقيراً، فكثّر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت ثمّ تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ لا والله لا يكون ذلك.

فقال لهم صهيّب رضي الله عنه: (أرايتم إن جعلت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟) قالوا: نعم، فقال: (فإني قد جعلت لكم مالي).

فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: «رَبِحَ صُهِيبٌ رَبِحَ صُهِيبٌ»)).

وفي السيرة النبوية لابن كثير: ((غُلِّقَتْ دار بني جحش هجرةً، فمرَّ بها عُتْبَةُ بن ربيعة والعبَّاس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عُتْبَةُ تخفق أبوابها ليس بها ساكنٌ، فلمَّا رآها كذلك تنفَّس الصُّعداء وقال:

وكلُّ دارٍ وإن طالت سلامتها  
يوماً ستُدْرِكُها النكباء  
(والخُوبُ))

يهون من أجل العقيدة التَّضحية بالغالي والرَّخيص.

**الدَّرْس الثَّانِي - عون المستضعفين ونصرهم مطلوبٌ من كلِّ مستطيع (إيواؤهم - إكرام**

وفادتهم - تلبية احتياجاتهم - التَّوَدُّد لهم - البشر بملقاهم):

فهؤلاء هم الأنصار يحتضنون إخوانهم المهاجرين، يشاطرونهم أموالهم وأرزاقهم حبًّا في الله وتقرباً إليه، وتقرؤون في ذلك عجباً:

روى الأعمش عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لقد رأيتُنا وما الرَّجل المسلم بأحقَّ بديناره ودرهمه من أخيه المسلم).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ عبد الرَّحمن بن عوفٍ رضي الله عنه هاجر إلى المدينة، فأخى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بينه وبين سعد بن الرَّبيع، فقال له سعد: (يا عبد الرَّحمن إنِّي من أكثرِ الأنصارِ مالاً وأنا مقاسمك، وعندي امرأتان فأنا مطلقٌ إحداها، فإذا انقضت عدَّتُها فتزوجها)، فقال له: (بارك الله لك في أهلك ومالك).

وبلغت رعاية الأنصار المهاجرين حدًّا أنسى المهاجرين بذلهم وتضحيتهم وفقدَهم، وظنُّوا أنَّ إخوانهم الأنصار سيسبقونهم بالأجر والثَّواب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قالَ الْمُهاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ مُوَاسَاةٍ فِي قَلِيلٍ، وَلَا أَحْسَنَ بَدَلًا فِي كَثِيرٍ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَةِ، حَتَّى لَقَدْ حَسِبْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ.

قَالَ: «لَا، مَا أَتَيْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ، وَدَعَوْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ» [رواه أحمد].

تَدَكَّرُ كُتُب السِّير -مفصلاً- عن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فتسرَّد أسماء الصَّحابة المهاجرين وأخ كلِّ واحدٍ منهم من الأنصار، فقد روي أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قال لهم: «تَاخَّوْا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ» [معرفة الصحابة لأبي نعيم].

هذا الحديث الطويل عن المؤاخاة حَرَضَ عندي فِكْرَةَ مشروعٍ أضعه بين أيديكم في الأزمة التي نعيش، وإِنِّي لأعلم أَنَّ عدداً مِنَّا يفعل، ولكنها تذكُّرٌ للنَّاسي جاءت من وحي الهجرة: أوقعت الأزمة ما يقارب نصف سكان البلد في حَرَجٍ وَضِيقٍ، فما رأيكم لو حمل النَّصفُ الثَّاني نصفَه الأوَّل.

في جمعية البركة مشروعٌ كما تعلمون لمساندة الأسر المتضرِّرة، كفالة الأسرة في كلِّ شهرٍ عشرة آلاف ليرة سورية.

فلو أَنَّ كلَّ أسرةٍ ضمَّت إليها في مكان إقامتها أسرةً متضرِّرةً أو أكثر على قدر الاستطاعة، فَمَن لم تستطع الضَّم بذلت عشرة آلافٍ لكفالة أسرةٍ متضرِّرةٍ، ومن لم تستطع بذل عشرة بذلت المستطاع، فإن لم يكن فالدُّعاء، لتتأسَّى جميعاً بما فعل الأنصارُ مع المهاجرين، لعلنا ننال ما في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ \* وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 8-10].

الدَّرْس الثَّالث - بقي يقين النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّم بفرج الله منيعاً بوجه عواصف الأزمات، ولم يزل لسانه وقلبه يلهجان بذكر الله.

وكذا المؤمن في كلِّ الأزمنة، وفي الأزمات خاصَّةً يبقى أمله بالله، وذِكْرُه الدَّائم لله قوت قلبه، وسلاحه بوجه كلِّ لئيمٍ وزنيمٍ وشريرٍ.

روى أبو نعيم بسنده عن محمَّد بن إسحاق، قال: بلغني أَنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لَمَّا خرج من مكَّة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي وَلَمْ أَكُ شَيْئاً، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى هَوْلِ الدُّنْيَا، وَبَوَائِقِ الدَّهْرِ، وَمَصَائِبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ.

اللَّهُمَّ اصْحَبْنِي فِي سَفَرِي، وَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي، وَلَكَ فَذَلِّلْنِي، وَعَلَى صَالِحِ خُلُقِي فَقَوِّمْنِي، وَإِلَيْكَ رَبِّ فَحَبِّبْنِي، وَإِلَى النَّاسِ فَلَا تَكِلْنِي.  
رَبِّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ، وَكُشِفَتْ بِهِ الظُّلُمَاتِ، وَصَلِّحْ عَلَيْهِ أَمْرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، أَنْ تُحِلَّ عَلَيَّ غَضَبَكَ، أَوْ تُنْزِلَ بِي سَخَطَكَ.

أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ.  
لَكَ الْعُتْبَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

ولعلَّ أقوى مواقف اليقين بالله تعالى تَقَرُّوْنَهَا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ وَهَمَا فِي الْغَارِ مَخْبُتَيْنِ، وَقَدْ وَصَلَ رَجُلَاتٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى فَمِ الْغَارِ، وَلَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ إِلَى أَسْفَلِ قَدَمِهِ لَرَأَاهُمَا، هُنَاكَ بَكَى الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» [رواه البخاري ومسلم]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40].

وَإِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ النَّبَوِيَّةِ الْعَظِيمَةِ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، وَفِي حَالِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَا أَصَابَهُ مِنْ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ وَأَزْمَةٍ وَشِدَّةٍ، ثُمَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ ثِقَّةً بَرِّهَ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾:

تَرَكَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تِجَارَتَهُ الَّتِي فِي مَكَّةَ، وَتَرَكَ دَارَهُ وَفِيهَا أَبُوهُ الضَّرِيرُ، وَبَنَاتُهُ وَأَوْلَادُهُ. خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ خَائِفًا طَرِيدًا مَلَا حَقًّا، وَهُوَ الْكَرِيمُ النَّسَابَةُ الْوَجِيهَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ. خَاطَرَ بَوْلَدِيهِ فِي الْهَجْرَةِ، فَقَدْ كَلَّفَ ابْنَتَهُ أَسْمَاءَ بِجَلْبِ الطَّعَامِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَهُ وَهَمَا فِي الْغَارِ، وَكَلَّفَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بِحَمْلِ أَخْبَارِ قُرَيْشٍ لَهُمَا، وَلَوْ عَلِمَتِ قُرَيْشٌ بِعَمَلِهِمَا لَسَحَقْتُهُمَا سُحْقًا.

دَخَلَ أَبُو جَهْلٍ فِي غَيْبَتِهِ دَارَهُ، وَأَذَاهُ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، شَتْمًا وَضَرْبًا.  
عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَمَّا قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَانَا نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، فَوَقَفُوا عَلَى بَابِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: أَيْنَ أَبُوكَ يَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: (قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ أَبِي) قَالَتْ: فَرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ

-وكان فاحشاً خبيثاً- فلطم حَدِّي لطمَةً حَرَمَ مِنْهَا قَرْطِي، قالت: (ثُمَّ انصرفوا). [السيرة النبوية لابن هشام والسيرة النبوية لابن كثير].

مع كلِّ هذا، يقول النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ ، والسَّبَبُ المانع من الحزن: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ .

مَنْ كَانَ اللهُ مَعَهُ فَلَا يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَنْ كَانَ فِي جَانِبِ اللهِ فَلَا يَهْوِلُنَّه مَا يَرَى مِنْ مَصَائِبِهَا، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ \* وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 120-121].

### أيها الإخوة:

هذه وقفاتٌ ثلاثٌ مع الهجرة تنفع في هذه الأزمة.

**الدَّرْسُ الأول:** الهجرة من مكانٍ لآخر فرضٌ على كلِّ مسلمٍ قادرٍ مُنِعَ من إقامة شعائر الدِّين، أو غلب على ظنه مهلكه، أو التَّيْلُ من عرضه.

**الدَّرْسُ الثَّاني:** نصرة المستضعفين وعونهم أمرٌ مطلوبٌ من كلِّ مسلمٍ، لجأ لِمَحَلِّ إقامته أخٌ له في الله.

**الدَّرْسُ الثَّالث:** يقين المؤمن بربِّه، وذِكْرُهُ الدَّائِمُ له قُوَّتُ قلبه وسلاحه.

ندعو الله أن يكون عام 1435هـ، عام هجرةٍ من معاصينا لنقرع أبواب الله لاهجين بالدُّعاء بالفرج، فَمَنْ أَدْمَنَ قَرَعَ الْبَابَ وَلَجَّ وَلَجَّ.

والحمد لله رب العالمين